بسم الله الرحمن الرحيم

مناهج البحث في مرحلة الطفولة المبكرة

دليل تمهيدي

تأليف

Penny Mukherji
Deborah Albon

ترجمة

د. لينا سعيد باشطح **د. هنادي فهد العثمان**

قسم الطفولة المبكرة – كلية التربية – جامعة الملك سعود

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

ح دار جامعة الملك سعود للنشر، ١٤٤١هـ (٢٠١٩م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موخرجي، بيني.

مناهج البحث في مرحلة الطفولة المبكرة: دليل تمهيدي . / بيني موخرجي ؛ البون ديبورا؛ لينا باشطح ؛هنادي العثمان - الرياض، ١٤٤٠هـ.

٥٤١ ص ؛ ١٧سم × ٢٤ سم

ردمك: ٣ - ٧٦١ - ٥٠٧ - ٦٠٣ — ٩٧٨

١- البحث ٢ — طرق البحث أ. ديبورا، البون (مؤلف مشارك)

ب. باشطح ، لينا (مترجم) ج. العثمان ، هنادي (مترجم) د. العنوان

ديوي ٠٠١,٤٢ ١٤٤٠/٩٩٧٥

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٩٩٧٥

ردمك: ٣ - ٧٦١ - ٥٠٧ - ٦٠٣ — ٩٧٨

هذه ترجمة عربية محكمة صادرة عن مركز الترجمة بالجامعة لكتاب:

RESEARCH METHODS IN EARLY CHILDHOOD AN INTRODUCTORY GUIDE
BY: PENNY MUKHERJI AND DEBORAH ALBON
PUBLISHED BY SAGE, 2018

وقد وافق المجلس العلمي على نشرها في اجتماعه الخامس عشر للعام ١٤٣٩/ ١٤٤٠هـ المعقود بتاريخ ٤/ ٧/ ١٤٤٠هـ الموافق ١١/ ٣/ ٢٠١٩م

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من الكتاب بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من دار جامعة الملك سعود للنشر.

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

الاهداء

إلى كل طالب علم وباحث في مجال الطفولة نهدي هذا الكتاب ..

مقدمة المترجمتين

يسعدنا أن نقدم للقراء العرب هذا الكتاب بعنوان: (مناهج البحث في الطفولة المبكرة: دليل تمهيدي) للمؤلفتين: بيني موخرجي Penny Mukherji وديبورا ألبون Deborah Albon اللتين لديهما خبرة طويلة في العمل الأكاديمي والبحث العلمي في مجال الطفولة المبكرة ببريطانيا. هذا الكتاب من المراجع العلمية الشاملة في مجال بحوث الطفولة المبكرة وهو الأول من نوعه باللغة العربية.

لقد صُمِّم هذا الكتاب لتلبية احتياجات طلبة دراسات الطفولة المبكرة، حيث يتَّسم بسهولة القراءة وسرعة جذب القارئ. ويشمل أمثلة عملية للبحث مع الأطفال الصغار وبيئتهم، ويشجع على اتباع نهج تفاعلي مع القارئ. و يأخذ الكتاب الطلبة خطوة بخطوة من خلال تقديم إرشادات واضحة حول طرق البحث، بالإضافة إلى تقديم المشورة للباحث حول كيفية تطوير المهارات بهدف القيام بمشروع بحثي.

يتكون الكتاب من خمسة أبواب رئيسة وهي: التخطيط لدراستك البحثية، النماذج البحثية والمبادئ، نهج البحث، طرق جمع البيانات، تحليل نتائجك البحثية ونشرها. وقد أجادت مؤلفتا هذا الكتاب في تبسيط المفاهيم المرتبطة بالبحث العلمي حيث قامتا بتدعيم الأجزاء النظرية بأمثلة واقعية من الدراسات والبحوث التي أجريت في أنحاء متفرقة من العالم (بحث تحت المجهر). توفر الطبعة الثالثة من هذا الكتاب دليلاً واضحاً وشاملاً للأنواع المختلفة من أساليب البحث، مع التركيز على نحو خاص على كيفية استخدام هذه الطرق في مرحلة الطفولة المبكرة. ويتَّبع هذا الكتاب الأكثر انتشاراً في مجال دراسات مرحلة الطفولة المبكرة، والمعروف بأسلوبه الداعم للكتابة هيكلًا خطياً وتقدمياً يساعد الطلبة على نحو منطقي على العمل بفعالية خلال مسيرتهم البحثية. ويوضح الكتاب

بعد ذلك كيفية ترجمة المفاهيم النظرية إلى تطبيق عملي باستخدام الأمثلة، ودراسات الحالة، ولحظات التأمل، وفقرات بحث تحت المجهر. كما اختتمت المؤلفتان كل فصل بقائمة مقترحة للقراءة ولمزيد من الاطلاع حول موضوع الفصل.

ومن تجربتنا في التدريس الجامعي لمسنا ندرة الكتب العربية في مناهج البحث في مجال الطفولة المبكرة حيث تعد الكتب المنشورة في هذا المجال قليلة جدًا وغير متخصصة في الطفولة. وعليه نأمل أن يكون هذا الكتاب مرجعا شاملا حول مناهج البحث في الطفولة المبكرة، وإضافة قيمة للمكتبة العربية. كما نأمل أن يسهم بالتعريف بمناهج وطرق البحث الملائم تطبيقها عند إشراك الأطفال في البحوث.

وقد حرصنا في أثناء مراحل ترجمة هذا الكتاب إلى تحري الدقة في تعريب المصطلحات والمفاهيم البحثية. ونرجو أن يكون نشر هذا الكتاب باللغة العربية دافعًا ومحفزًا للباحثين العرب إلى دفع عجلة البحث العلمي في مجال الطفولة المبكرة وترجمة الكتب الرائدة في هذا المجال.

وفي الختام لا يسعنا إلاّ تقديم جزيل الشكر والامتنان لجامعة الملك سعود ممثلة في "قسم الطفولة المبكرة"، و"مركز الترجمة" لما قدموه من دعم معنوي ومادي لتسهيل عملية الترجمة التي تعود على الجامعة والمجتمع الأكاديمي بالفائدة لدعم العملية التعليمية.

المحتويات

الإهداء ..... هـ
مقدمة المترجمتين ..... ز
شكر وتقدير ..... ط
نبذة عن مؤلفي الكتاب ..... ك
المصادر على شبكة الإنترنت ..... م

مقدمة: ١
ما المقصود من كلمة " بحث" ١
أهداف ومجالات هذا الكتاب ٤
طريقة تنظيم محتويات الكتاب ٦

الباب الأول: التخطيط لدراستك البحثية

الفصل الأول: تصميم البحث ١٣
مراحل تخطيط مشروع بحثي ١٤
تطوير مجال استقصائي، أو سؤال بحثي، أو فرضية ١٦
اختيار تصميم البحث ٢٥
اختيار طرق مناسبة ٣٠
اختيار العينة ٣٣

العيِّنات الاحتمالية ٣٥
العيِّنات غير الاحتمالية ٣٦
الثبات والصدق ٣٨

الفصل الثاني: المقترح البحثي ٤٥
ماهو المقترح البحثي؟ ٤٥
محتوى المقترح البحثي ٤٧
التخطيط الزمني ٥٣
كتابة مذكرات بحثية أو تسجيل الأحداث اليومية. ٥٥
العمل مع مشرف البحث ٥٥

الفصل الثالث: مراجعة الأدب البحثي ٥٩
ماهي مراجعة الأدب البحثي؟ ٥٩
ما أهمية إجراء مراجعة للأدب البحثي؟ ٦١
ما المقوّمات التي تجعل مراجعة الأدب البحثي ناجحة؟ ٦١
مراجعات الأدب البحثي في البحوث الكمية والبحوث النوعية ٧٢
كيف تبدأ بمراجعة الأدب البحثي ٧٣

الباب الثاني: النماذج البحثية والمبادئ

الفصل الرابع: البحوث الوضعية ٨٥
معرفة العالم الذي نعيش فيه ٨٥
ماذا تعني كلمة "نموذج"؟ ٨٩
معنى الوضعية وأصولها ٩٠
المنهج العلمي ٩١
الوضعية والأسلوب المنهجي الكمي ٩٤

الأسلوب التجريبي ٩٦
الأسلوب الارتباطي ١٠٢
المصداقية والثبات ١٠٣
إمكانيات البحوث الوضعية ومحدداتها ١٠٤

الفصل الخامس: ما وراء الوضعية: التفسيرية، والنظريات " النقدية"، وما بعد البنيوية ١٠٩
ما معنى "التفسيرية"؟ ١١٠
ما معنى النظريات "النقدية" في البحث ١١٢
ما معنى ما بعد البنيوية؟ ١١٥
البحوث النوعية ودراسات الطفولة المبكرة ١١٨
نهج البحث النوعي وأساليبه ١٢٦
الجمع بين أساليب البحث النوعية والكمية ١٢٩

الفصل السادس: الأخلاقيات ١٣٥
ما المقصود بالأخلاقيات؟ ١٣٦
لماذا تعد دراسة الأخلاقيات مهمة في بحوث الطفولة المبكرة؟ ١٣٩
ماذا تعني فكرة " الموافقة على المشاركة في بحث" في سياق بحوث الطفولة المبكرة ١٤٢
إجراء البحوث الشاملة على الأطفال ١٤٩
الاعتبارات الأخلاقية الواجب مراعاتها خلال العملية البحثية ١٥١
المبادئ التوجيهية الأخلاقية، ولجان الأخلاقيات في الجامعات، والاعتبارات القانونية ١٥٦

الفصل السابع: الإصغاء إلى الأطفال الصغار ١٦٣
تطور الاهتمام بالإصغاء إلى الأطفال الصغار ١٦٤
قضايا أخلاقية عند إشراك الأطفال الصغار في البحوث ١٧٣
الطفل يقوم بدور الباحث ١٧٩

الباب الثالث: نهج البحث

الفصل الثامن: الدراسات المسحية ١٨٥
ما معنى الدراسة المسحية؟ ١٨٦
لماذا تستخدم الدراسات المسحية؟ ١٨٨
تصميم الدراسة المسحية ١٩٣
استخدام الدراسات المسحية في مجال الطفولة المبكرة ٢٠٠

الفصل التاسع: الإثنوغرافيا ٢٠٧
ماذا نعني بالإثنوغرافيا؟ ٢٠٨
الإثنوغرافيا وبحوث الطفولة المبكرة ٢١٣
تنفيذ العمل الميداني في الدراسات الإثنوغرافية ٢١٨
إمكانيات ومحددات البحوث الإثنوغرافية ٢٢٨

الفصل العاشر: دراسات الحالة. ٢٣٣
ماهي دراسة الحالة؟ ٢٣٣
الخلفية التاريخية لدراسة الحالة ٢٣٦
تصميم دراسة الحالة ٢٣٧
الأساليب التي يمكن استخدامها في دراسة الحالة ٢٤٣
إمكانيات ومحددات اعتماد دراسة الحالة ٢٤٤

الفصل الحادي عشر: البحث الإجرائي ٢٥١
ما هو البحث الإجرائيّ؟ ٢٥١
من يقوم بالبحوث الإجرائيّة؟ هل يقوم الممارسُ بدور الباحث ٢٥٧
الدورةُ التسلسليّة للبحوثِ الإجرائيّة ٢٦٢
الأساليبُ المستخدمة في البحوث الإجرائيّة ٢٦٥

الإمكانيات والمحددات في البحوث الإجرائيّة ٢٦٨

الباب الرابع: طرق جمع البيانات

الفصل الثاني عشر: الملاحظة ٢٧٧
لمحةٌ تاريخية ٢٧٨
متى يكون من المناسب استخدام الملاحظة في البحوث؟ ٢٨٠
أنواع الملاحظة ٢٨٢
تسجيل المعلومات ٢٩٨

الفصل الثالث عشر: المقابلات ٣٠٥
ما معنى المقابلة؟ ٣٠٦
ما الحالاتُ التي تستدعي إجراء المقابلات؟ ٣٠٧
أنواعُ المقابلة ٣٠٨
إجراءُ المقابلاتِ وتسجيلها ٣٢٦

الفصل الرابع عشر: الاستبانات ٣٣٣
ما الفرق بين المشاركين في الاستبانة والمُستجيبين لها؟ ٣٣٤
ما هي الاستبانات؟ ٣٣٤
لماذا تُستخدم الاستبانات في البحوث؟ ٣٣٥
أنواع الأسئلة المُستخدمة في تصميم الاستبانات ٣٣٧
ترابط عناصر الاستبانة ٣٤٥
إجراء الاستبانة ٣٥٤
إمكانيات ومحددات الاستبانات ٣٦٠

الفصل الخامس عشر: استخدام الوثائق والنصوص المرئية ٣٦٣
ما هي "الوثيقة"؟ ٣٦٤
استنباط الآراءِ من خلال الصّور ٣٧٣
وسائلُ التواصل الاجتماعيّ والتّقنياتُ الحديثة ٣٧٥
الأسبابُ التي قد تدفعُنا لاستخدام الوثائقِ والنصوص المرئيّة في البحوث؟ ٣٧٨
كيف يمكننا تقييم المصادر الوثائقيّة؟ ٣٨٠

الفصل السادس عشر: السجلات بوصفها أداة بحثية ٣٨٧
ذاتُ الباحثِ بوصفها موضوعاً مُعتَمداً قابلاً للدراسة ٣٨٨
ما معنى مصطلحِ "السجلّات البحثيّة"؟ ٣٩١
ما هي أسبابُ استخدام السجلّات كأداةٍ بحثيّة؟ ٣٩٢
كتابةُ السجلّاتِ لتكون مُذكّرات مساعدة ٣٩٣
إمكانيات ومحددات استخدام السجلّات كأداةٍ بحثيّة ٤٠١

الفصل السابع عشر: طرق مبتكرة للإصغاء إلى الأطفال في البحوث ٤٠٧
الإصغاءُ إلى الأطفالِ الصّغار في البحوث: تطوير نهجٍ شامل ٤٠٨
التصوير الفوتوغرافي ٤١١
الرّسومات ٤١٤
اللّعبُ بوصفه إستراتيجيّة بحثيّة ٤١٨
النُهج الخاصة بالسرد وروايةِ القصص ٤١٩
نهج الموزاييك ٤٢٣
إمكانيات ومحددات الطرق البحثيّة المبتكرة للإصغاءِ إلى الأطفال ٤٢٥

الباب الخامس: تحليل نتائجك البحثيّة وعرضها على الآخرين

الفصل الثامن عشر: تحليل البيانات وتقديمها ٤٣٣
ما معنى مصطلح تحليل البيانات؟..... ٤٣٤
تنظيم العمليّة البحثيّة..... ٤٣٥
الطرق الكمّية لتحليل البيانات..... ٤٣٦
عرض البيانات الكمّية ٤٤٨
الطرق النوعّية لتحليل البيانات ٤٥٥
عرضُ البيانات النوعيّة..... ٤٦٥

الفصل التاسع عشر: كتابة نتائج البحث وعرضها على الآخرين ٤٦٩
كتابةُ المشروع البحثي ٤٧٠
سماع صوتِ الباحث عند كتابة البحث..... ٤٨٣
تضمين أصوات الآخرين في البحث ٤٨٥
اطلاعُ الآخرين على ما تعلمته ٤٨٦

الخاتمة..... ٤٩١
قاموس المصطلحات ٤٩٣
المراجع:..... ٥٠٥
ثبت المصطلحات ٥٢١
أولاً: عربي – إنجليزي ٥٢١
ثانياً: إنجليزي – عربي ٥٣١
كشاف الموضوعات..... ٥٤١

مقدمة
INTRODUCTION

ما المقصود من كلمة "بحث"؟

قد يبدو أحياناً أن إجراء البحوث من الأمور الشاقة للباحث المبتدئ، ويمكننا أن نذكر قول إحدى الطالبات التي تعتقد أن الفرق الرئيس بين كتابة مقال وإجراء بحث هو "مغامرة في المجهول"، أو ما يقع على عاتقها من تقصٍ للحقائق بدلاً من توصيف بحوث قام بها آخرون، ولذلك يشعر الطلاب أن إجراء بحث يُعدُّ أمراً مخيفاً.

ومع ذلك نقوم بإجراء البحوث في كل وقت، ولا بد أنك قررت قراءة هذا الكتاب بناء على مجموعة من المعلومات: تزكية من معلم أو طالب، أو انجذاب لغلاف الكتاب، أو دراسة شاملة لمجموعة من الكتب التي تناقش مناهج البحث، ويشبه هذا الأمر ما يقوم به الوالدان حينما يختاران المدرسة التي سيسجلان فيها طفلهما، إذ إنهما قد يطلبان آراء الأسر الأخرى التي سجلت أبناءها في تلك المدرسة، وقد يقوما بزيارة المدرسة شخصياً، والتحدث إلى القائمين عليها، ومراقبة ما يحدث في تلك المدرسة في الأحوال العادية. وقد يفضِّل الوالدان، بدلاً من ذلك، الاطلاع على جداول مستوى أداء المدارس؛ لأنهما يجدان أن ذلك الأمر يُعدُّ دليلاً أكثر موضوعية. ويمكن اعتبار هذه الأمثلة بمثابة القيام بإجراء بحث ما، فقد تبيَّن أننا نقوم بإجراء "البحوث" في كثير من الأحيان، كما يمكن القول إن الأطفال الصغار والرضع أيضاً يقومون بإجراء "البحوث" عندما يستكشفون خصائص شيء معين مستعينين بكل حواسهم. ويثبت هذا الأمر أنه من الضروري جمع المعلومات

وتحليلها وتفسيرها بطريقة ما للإجابة عن الأسئلة التي نطرحها على أنفسنا (Kumar, 2014)، وهي عملية نقوم بها طيلة حياتنا في مراحل مختلفة ولأسباب عديدة.

ولكن هناك فرق واضح بين هذا النوع من الأبحاث "اليومية" والبحوث الأكاديمية، ويجب أن يتوفر الفهم الخاص بنموذج البحث وتوجُّهه المنهجي الذي يدعمه، حتى يرتقي هذا البحث إلى مستوى البحث "الأكاديمي". ويتناول هذا الكتاب على نحو عام مصطلحي "النموذج paradigm" و"المنهجية methodology"، وخاصة في الفصلين الرابع والخامس، ويرتبط كل من هذين المصطلحين بالفلسفة التي تقوم عليها البحوث، والقواعد المرتبطة بإنتاج المعرفة في إطار النموذج البحثي على التوالي. ويحتاج الباحث إلى القدرة على الدفاع عن الموقف الذي يتبناه فيما يتعلق بنموذج بحثه، فضلاً عن الأساليب التي يختارها من أجل إجراء بحثه؛ ذلك لأن البحث الأكاديمي يخضع لمزيد من التدقيق، ومثال ذلك ضرورة إخضاع البحث الذي يجري طرحه للنشر لعملية مراجعة دقيقة يقوم بها نظراء الباحث (Kumar, 2014). ولكن البحوث "الحياتية" لا تخضع لمثل هذا التدقيق. ولا بد من تبرير القرارات ذات الصلة بالبحوث الأكاديمية بعناية بذات الطريقة التي يعمد بها المرء إلى دعم النقاط المطروحة في مقال أكاديمي بالاعتماد على الأعمال المنشورة. ولا يلزم تقديم مبرر مشابه في الكتابة الأقل أكاديمية، مثل الرسالة التي ترسلها إلى صديق، على سبيل المثال، ولكن علينا أن نتذكر أنه يمكن تطوير المعرفة والمهارات اللازمة لإجراء البحوث وتحسينها، كما هو الحال في مهارات كتابة المقال.

ومن المهم أن نشير هنا إلى إمكانية تباين الجامعات والكليات في مدى توقعها من الباحث إظهار فهمه للنماذج والمنهجية البحثية التي يعتمدها، ويتوقف هذا على نوع المقرر الذي يختار دراسته، ومن غير المرجح أن يتطلب إجراء بحث لنيل درجة أكاديمية أساسية تقديم تفاصيل من هذا النوع، بخلاف إجراء بحث لنيل درجة دراسات عليا، لذلك على الباحث التقيد بتوجيهات مدرسية فيما يتعلق بهذا الأمر، ويحتاج الباحث في معظم الأحيان لإثبات إلمامه بالمنهجية التي يعتمدها، سواء كان البحث كمياً أو نوعياً في تصميمه البحثي. وقد لا يُطلب من الباحث مناقشة النموذج المعتمد في بحثه في الفروض الأكاديمية التي يكلَّف بها. ولذلك، فإننا نشدِّد على ضرورة

الاسترشاد بالمدرسين في مسائل من هذا النوع؛ ذلك لأنهم أكثر من يكون على دراية بالمتطلبات التي تقررها المؤسسة الأكاديمية للنجاح في كافة المقررات والفروض الأكاديمية.

إنَّ الهدف الدقيق من البحث سيُحدِّد نوع الدراسة البحثية تحت الإنجاز. وقد حدَّد كلًّا من جونسون وكريستينسن (٢٠١٢) (Johnson and Christensen) خمسة أنواع مختلفة من الأبحاث المطبَّقة مع أو حول الأطفال وهي: البحث الأساسي، والبحث التطبيقي، والبحث التقييمي، والبحث الإجرائي، و البحث التوجيهي. وسنلقي نظرة على هذه الأنواع باختصار وبالترتيب:

١-البحث الأساسي: الغرض من هذا النوع من البحوث هو معرفة أساسيات العمليات العلمية والبشرية، حيث يتم إجراء الكثير من الأبحاث في مجال الطفولة المبكرة لاكتشاف آليات الدماغ الأساسية. فعلى سبيل المثال، أفادت تقارير عام ٢٠٠٧ عن توصُّل غالو وآخرين (Gallo et al.) لمعلومات جديدة عن العمليات التي ينطوي عليها إصلاح المادة البيضاء في الدماغ. وعلق غالو قائلاً: "نقترب من وضع تعليمات واضحة لإصلاح اضطرابات الدماغ التنموية والإصابات الدماغية، من خلال فهم الآليات الأساسية لتطور الدماغ" (نقلاً عن دارت، ٢٠٠٧: ١). ولا تتضح في كثير من الأحيان كيفية الاستفادة من المعلومات التي تم التوصل إليها حديثاً في البحوث الأساسية في الحياة اليومية، ولكن يمكن أن تفضي هذه البحوث الأساسية التي تقوم عليها البحوث التطبيقية، إلى تحقيق تقدم في التطبيقات العملية للمعرفة الأساسية.

٢-البحث التطبيقي: يكون هذا النوع من البحوث موجهاً للإجابة عن أسئلة حياتية حقيقية أو حل لمشكلاتها، وقد تعتمد البحوث التطبيقية على ما توصلت إليه البحوث الأساسية لبيان طرق الوصول إلى الحلول، ومن المرجح أن يجري الممارسون العاملون في مجال الطفولة المبكرة وطلاب دراسات الطفولة المبكرة هذا النوع من البحوث. ويمكن اعتبار البحوث الأساسية والبحوث التطبيقية طرفي سلسلة متصلة، حيث تنطوي مشاريع البحث في كثير من الأحيان على عناصر من كلا النوعين من البحوث بنسب متفاوتة.

٣- البحث التقييمي: يتم تنفيذ هذا النوع من البحوث، وهو شكل من أشكال البحوث التطبيقية، عندما يجري تنفيذ تدخُّلٍ أو مشروع جديد، وهذا النوع مصمم لتقييم فعالية هذه المبادرة،

وكثيراً ما تُجرى مشاريع بحوث التقييم لمعرفة ما إذا كان ينبغي تعميم البرنامج الجديد من أجل مشاركة أوسع نطاقاً.

٤-البحث الإجرائي: يتم إجراء هذا النوع من البحوث في مكان العمل، وهو مثال آخر من البحوث التطبيقية، وينشأ هذا النوع من البحوث من تحديد مشكلة أو حاجة داخل مكان العمل، ويتولى العاملون داخل المكان تصميم وتنفيذ الدراسة البحثية، ويكون الهدف من هذا البحث التوصل إلى حل أو تطبيق تدخُّل يمكن لفريق العاملين تنفيذه وتقييمه. ويتناول الفصل الحادي عشر من هذا الكتاب البحث الإجرائي بمزيد من التفصيل.

٥-البحث التوجيهي (بحث النظرية النقدية): يتمثَّل الغرض من هذا النوع من البحوث في جمع المعلومات للمساعدة في تقوية حجة الراغبين في تعزيز إيديولوجية أو موقف سياسي معين، بهدف تحسين المجتمع (Johnson and Christensen, 2012)، ويهدف الباحثون التوجيهيون إلى دعم قطاعات المجتمع الأشد حاجة للرعاية والتركيز على المظالم الاجتماعية، بهدف صياغة إيديولوجية (توجّهية) صريحة. وستجد المزيد عن هذا النوع من البحوث في الفصل الخامس.

أهداف هذا الكتاب ومجالاته

إنَّ أهدافنا من كتابة هذا الكتاب كثيرة، إذ يحدونا الأمل في أن يتعلم الطلاب حديثو العهد بمجال بحوث الطفولة المبكرة بعض النماذج، والمنهجيات، والأساليب الرئيسة المستخدمة في بحوث الطفولة المبكرة، وقد يرتبط هذا المجال البحثي بالبحوث على نحو عام، ولكن الهدف من الكتاب هو تقديم عمل يتناول مناهج البحث، مع التركيز على دراسات الطفولة المبكرة.

ولذلك عملنا على الاستفادة من البحوث التي أجريت في مجموعة متنوعة من المجالات النظرية والمهنية، وذلك بغية مراعاة طبيعة الأبحاث المتعددة التخصصات في الطفولة المبكرة. وسنناقش في هذا الكتاب بحوثاً ذات صلة بالدراسات الصحية، وعلم النفس، والدراسات الأنثروبولوجية، والتعليم، على سبيل المثال. وسيتم، خلال هذه المناقشة، تسليط الضوء على دراسات ذات نطاق ضيق وأخرى ذات نطاق واسع، فضلاً عن الدراسات الطولية، أو الدراسات التي تقدم لمحة عن مسألة ما، وفي بعض الأحيان قد يتم ذلك من خلال الاطلاع على بعض

البحوث التي ستجرى الإشارة إليها، ومن المرجّح ألا تكون على اطلاع ببعضها الآخر. والمبدأ التوجيهي لهذا الكتاب، كما جرى ذكره سابقاً، هو إدراج إشارة مرجعية إلى البحوث في مجال "الطفولة المبكرة"، أو البحوث التي لها صلة واضحة بهذا المجال.

كما عملنا على تضمين دراسات من مجموعة واسعة من البلدان والمناطق؛ لأن الكتاب موجَّه لقراء من مختلف البلدان، ولكننا نسلِّم بأننا لا نستطيع أبداً أن نكون منصفين في وفرة البحوث التي يجري الاضطلاع بها في جميع أنحاء العالم، ما تستحقه من التغطية، ونقر أيضاً بأن اللغة المستخدمة في الكتاب قد تبدو – في بعض الأحيان– غير مألوفة، بالمقارنة مع مرادفاتها في سياقات أخرى. ومثال ذلك تفضيلنا لاستخدام المصطلحين "مركز رعاية الأطفال الصغار" أو "الحضانة" لتضمين المراكز التي تقدم التعليم والرعاية للأطفال قبل بلوغ سن التعليم الرسمي عندما تصبح أعمارهم حوالي ٤ أو ٥ سنوات، ولكن هذين المصطلحين غير مألوفين لأولئك الذين ألفوا استخدام مصطلحات "الرعاية النهارية" أو "مرحلة ما قبل المدرسة" أو "مرحلة ما قبل الحضانة". وسنحاول شرح المعاني المستخدمة في الكتاب من الناحية الاصطلاحية في الموضع التي ترد فيه، ولكن نود التنويه إلى استخدام مصطلحي "الحضانة" و "مركز رعاية الأطفال الصغار" في جميع أجزاء الكتاب.

ويشير مصطلح "بحوث الطفولة المبكرة" في هذا الكتاب إلى البحوث التي أجريت على أو عن أطفال من عمر يوم واحد إلى ٨ سنوات، وإلى المسائل المرتبطة بهذه البحوث، مثل تلك المتعلقة بالممارسين الذين يتعاملون مع هذه الفئة العمرية أو آباء الأطفال في هذا العمر. ويعلم الكثيرون منكم أنه يمكن حقاً إجراء بعض البحوث التي تعالج ما له صلة "بالطفولة المبكرة" على البالغين، وخاصة الآباء والممارسين، بدلاً من إشراك الأطفال الصغار على نحو مباشر. وبالإضافة إلى ذلك، قد يتطلب البحث في مرحلة الطفولة المبكرة دراسة الوثائق ذات الصلة بهذا المجال، مثل المذكرات اليومية وغيرها من الصيغ النصية. ويعالج الجزء الرابع من الكتاب هذه المسألة.

ونأمل أن تزودك قراءة هذا الكتاب ببعض المعرفة التي سوف تمكنك من نقد بحوث الآخرين، إلا أننا نود أن نؤكد أنه لا يعلو أي بحث على إمكانية الانتقاد، ولا يخلو تصميم بحثي من المحاسن والمساوئ، ولذلك حري بحديثي العهد بالبحوث على وجه الخصوص توخي المرونة

والتأني عند نقد أعمال الآخرين، بدلاً من مجرد الحكم عليها على أنها "خاطئة" أو "معيبة" بطريقة أو بأخرى. وهذه مهارة أخرى ينبغي على الباحث في مرحلة الطفولة المبكرة تطويرها. وستلاحظ أن كل فصل من فصول هذا الكتاب يُجمِل محاسن النموذج ومساوئه ، أو المنهجية، أو التوجه، أو الأسلوب الذي يتناوله الفصل، وقد تتمُّ مناقشة تلك المحاسن والمساوئ في قسم منفصل في نهاية بعض الفصول، أو يتم عرضها في جميع أنحاء الفصل بالنسبة للفصول الأخرى.

ويشير غريغ وآخرون (Greig et al.) (٢٠١٣) إلى أن الفرق الرئيس بين التدريب الذي يؤهل المرء ليكون مهنياً، مثل المعلم أو المربية، وبين تعلم كيفية إجراء البحوث هو أن المتدربين المهنيين يحظون عادة بفرصة مراقبة مهارات الممارسين الآخرين الذين يفوقونهم خبرة، كما تكون لديهم أيضاً فرصة معاينة الخبرات المهنية للممارسين الأكثر خبرة مع الممارسين الطلاب الآخرين وأساتذتهم في الجامعة، ونادراً ما يحظى الباحث المبتدئ بمثل هذه الفرص، ونأمل أن يمنحكم هذا الكتاب مثل هذه الفرص من خلال دراسة بحوث مرحلة الطفولة المبكرة الواردة في أقسام "بحث تحت المجهر" Research in Focus، والاطلاع على تجارب الذين شرعوا في تنفيذ مشاريعهم البحثية الخاصة، والواردة في أقسام "دراسة الحالة" Case Study، ومن المؤكد أن تطوير نموذج "مناهج البحث في مرحلة الطفولة المبكرة" كمقرَّرٍ معدٍّ لنيل درجة أكاديمية، الذي شارك كلانا في تطويره، جاء كنتيجة لضرورة دعم الطلاب في تطوير المعرفة والمهارات ذات الصلة بالبحث في المقرر خاصة عند تحضيرهم لأطروحاتهم أو مشاريعهم النهائية.

طريقة تنظيم محتويات الكتاب

هذه هي الطبعة الثالثة من كتاب "مناهج البحث في مرحلة الطفولة المبكرة" Research Methods in Early Childhood، وقد اغتنمنا فرصة إجراء تعديلات على طريقة تنظيم الكتاب في هذه الطبعة المنقَّحة، ونادراً ما يقرأ الطلاب كتاباً دراسياً كهذا الكتاب بكامله من الصفحة الأولى وحتى النهاية، ولذلك تم أخذ ذلك في عين الاعتبار، فقمنا بترتيب الفصول بطريقة تبدو منطقية وتلبي احتياجات التعلم لدى الطلاب. وإننا نعبر عن امتناننا لمجموعة من المراجعين من جميع أنحاء العالم على دعمهم واقتراحاتهم ذات الصلة بتنظيم الكتاب. ويصعب في بعض الأحيان حتماً اتخاذ قرارات بشأن مكان وضع مواضيع مختلفة، عند تأليف كتاب من هذا القبيل، حيث كانت فصول

الكتاب في الإصدارات السابقة مرتبة على نحو يتيح تزويد الطلاب بمعلومات عن النماذج، والمنهجيات، والأخلاقيات قبل الفصول التي تتناول تخطيط وكتابة دراسة بحثية. وهذا الأمر يناسب الطلاب الذين يختارون مقرراً يتناول مناهج البحث قبل التخطيط لمشاريعهم البحثية الخاصة بهم وإجرائها، ولكن يطلب من بعض الطلاب تقديم مقترحات لمشاريع بحوثهم مقدماً، أو كجزء من مقرر يتناول مناهج البحث، ولذلك وضعنا المعلومات عن تخطيط دراسة بحثية أو مشروع بحثي في بداية الكتاب لتلبية احتياجات هؤلاء الطلاب، وإننا على يقين من أنك قادر على اتخاذ القرارات الخاصة بك فيما يتعلق بترتيب قراءتك لهذا الكتاب.

وينقسم هذا الكتاب إلى خمسة أبواب، حيث قمنا بتضمين معلومات عن كيفية تخطيط دراسة بحثية في بداية الكتاب، كما ذكرنا سابقاً، وقد توخَّينا عمداً تبسيط هذه المعلومات إلى حد ما لأن الفصول اللاحقة في الكتاب تتناول مسائل بتعمق أكبر بكثير، ويناقش الفصل الأول التصميم البحثي، ويتابع الفصل الثاني المسألة ذاتها، حيث ستتعلم كيفية كتابة مقترح بحثي. ويختتم هذا الباب من الكتاب بالفصل الثالث، حيث نناقش الدور الذي تؤديه البحوث السابقة والأفكار النظرية في صياغة سياق بحثنا الخاص، ويناقش الفصل الثالث أيضاً كيفية إعداد وكتابة مراجعة للدراسات السابقة. وهذه الفصول الثلاثة متصلة ببعضها بعضاً؛ ذلك لأن إعداد مراجعة للدراسات السابقة يساعدك على اتخاذ قرار بشأن سؤال البحث الخاص بك الذي يوجه بدوره التصميم البحثي الخاص بك. ويرتبط الباب الأول من الكتاب أيضاً بأبواب الكتاب الأخرى، إذ إنك ستدرك عند قراءة الفصل الذي يتناول تصميم البحث أنه يتعيَّن عليك قراءة فصول الكتاب اللاحقة؛ لأنها تقدم معلومات عن المنهجية، والنهج، وطرق جمع البيانات.

ويتناول الباب الثاني من الكتاب الأفكار الأساسية (النماذج والمبادئ) التي ترتكز عليها البحوث في مرحلة الطفولة المبكرة، حيث يعالج الفصل الرابع المنهجية الوضعية، ويستقصي الفصل الخامس بعض النظريات، مثل النظريات التفسيرية والنظريات النقدية، وكذلك ما بعد البنيوية، وقد ذكرنا سابقاً أن مدى الحاجة إلى إظهار فهمك لهذه المجالات يرتبط بنوع المقرر الذي ترغب بدراسته، سنناقش أيضاً التوجهات المنهجية في إطار هذين الفصلين، وسنبين كيف أن النموذج الوضعي يوجه الباحث إلى استخدام توجه منهجي كمي، في حين أن النماذج التي يناقشها

الفصل الخامس توجه إلى تبني توجه منهجي نوعي، وستدرك أيضاً أننا نتوسع في نقاش نماذج البحث ومنهجيته في جميع مواضع هذا الكتاب.

ويركِّز الفصل السادس على أخلاقيات البحث، ويدرس الفصل السابع الاستماع للأطفال الصغار في البحوث، وبالرغم من أن الباب الثاني من الكتاب يتناول أخلاقيات البحث، فإننا نؤمن بضرورة أن تكون المبادئ الأخلاقية أساساً لإجراء أي بحث، وأن تكون هذه الأخلاقيات أيضاً الاعتبارات الرئيسة للباحث عند تصميم مشروع بحثي، وعند كتابة مقترح بحثي، ونحن نستند إلى مفهوم لاهمان (Lahman) (2008: 285) " أهلية الطفل رغم عدم قدرته على اتخاذ القرار" لتسليط الضوء على الطريقة التي يرتكز فيها المشروع البحثي على رأي الباحث بالطفل، في الفصلين السادس والسابع، ونود أن نسلط الضوء على إمكانية اعتبار الطفل كمشارك في البحث من خلال التأكيد على أهليته – بالمقارنة مع موضوع البحث، كما أننا نسلط الضوء على ضرورة أخذ احتياجات الأطفال الصغار في الاعتبار بعناية، وذلك من خلال الإقرار قابليته للتأثير ويؤكد هذا حقيقة أن البحوث الموجهة مباشرة للأطفال الصغار جداً والرضع على وجه الخصوص تكون في مجملها مختلفة عن البحوث الموجهة للأطفال في سن المدرسة الثانوية، على سبيل المثال. ومع ذلك، نؤمن أن كل الذين يوجه البحث إليهم قابلين للتأثر إلى حد ما، ومن المهم أن يضع الباحثون ذلك في الاعتبار، وتتم أيضاً مناقشة المسائل الأخلاقية في فصول أخرى، حين توجد نقطة محددة نود أن نثيرها فيما يتعلق بالموضوع قيد المناقشة، ولكن ينبغي أن ننوه إلى أن الفصلين السادس والسابع مخصصان لمناقشة هذه المسائل أكثر من غيرهما.

ويعالج الباب الثالث من الكتاب بعض التوجهات التي يتم توظيفها في بحوث الطفولة المبكرة، ونناقش في هذا الباب الدراسات الاستقصائية والإثنوغرافيا ودراسات الحالة والبحوث الإجرائية، وقد تستند هذه التوجهات إلى مجموعة من الطرق المختلفة، ويناقش الباب الرابع من الكتاب هذه "الأدوات" أو الأساليب، كما يتناول هذا الباب الملاحظة والمقابلات والاستبيانات واستخدام الوثائق وغيرها من "النصوص" البصرية وتدوين السجلات البحثية والأساليب الابتكارية لإشراك الأطفال في البحوث.

ويتناول الباب الخامس والأخير من الكتاب ما ينبغي فعله بعد جمع البيانات الخاصة ببحثك، ونبين في هذا الباب كيفية معرفة ما تعنيه جميع البيانات وكيفية مشاركة النتائج الخاصة بك، سواء عن طريق كتابة تقرير بحثي متماسك أو استخدام طرق أخرى لنشر النتائج الخاصة بك، ويُعدُّ الفصل الثامن عشر من الكتاب فصلاً مطولاً بالمقارنة مع الفصول الأخرى، نظراً لكمّ المعلومات التي نود تغطيتها، ويعالج هذا الفصل تحليل البيانات وعرضها.

ونأمل أن تتمكن عند قراءة الكتاب من تعزيز فهمك للنماذج والمنهجيات والمبادئ والتوجهات البحثية، فضلاً عن الأساليب نفسها التي سوف تساعدك في التخطيط لمشروع البحث الخاص بك، ويكون الغرض من أقسام "بحوث تحت المجهر" وأقسام "دراسات حالات" وأقسام "وقفات التأمل" وأقسام "الأنشطة"، وهي مميزة من خلال وضعها في مربع، تشجيعك على التفكير أكثر في نقطة تمت إثارتها، أو تقديم نموذج من بحث منشور أو مشروع طلابي، وتتطلب بعض الأنشطة زيارة مواقع إلكترونية معينة، وإذا تعذر فتح هذه المواقع حاول اختصار عنوان الموقع الإلكتروني بالاقتصار على صفحته الرئيسة، فإذا تعذَّر مثلاً الوصول إلى مدونة جمعية علم النفس البريطانية لأخلاقيات البحث في العلوم الإنسانية من خلال الموقع الإلكتروني التالي:
www.bps.org.uk/system/files Public%20files / inf180_web.pdf
فيمكن اختصار عنوان الموقع إلى www.bps. org.uk وإجراء بحث داخل ذلك الموقع.

ويرتبط هذا الإصدار من الكتاب بمصدر جديد على الإنترنت من مؤسسة Sage، وهو أكثر شمولاً بكثير من الموقع الذي خصص للإصدار الثاني، إذ ستجد في نهاية كل فصل روابط إلى مصادر على الإنترنت تحتوي على أنشطة ابتكرناها لتوسيع فهمك لموضوع معين، وتتوفر أيضاً إمكانية الوصول المباشر إلى بعض المراجع الرئيسة المرتبطة بالفصل، ونأمل أن يكون ذلك مصدراً مفيداً للطلاب والأساتذة على حدٍّ سواء.

وأخيراً فإننا نأمل أن يساعدك هذا الكتاب على تطوير معرفتك ومهاراتك فيما يتعلق ببحوث مرحلة الطفولة المبكرة، ونأمل على نحو خاص أن يكون لديك الثقة والحماس اللازمين لإجراء بحث خاص بك في المجال الذي تتوق إلى الخوض فيه. وعندما تُجري ذلك البحث، سواء كنت تقوم بإجراء بحث يهدف إلى التشجيع على إحداث تغيير في الممارسة، أو تطوير فهم أكبر لمسألة ما، فإنك ستسهم بتقديم دليل معرفي يثري فهمنا للأطفال الصغار والعوامل العديدة التي تؤثر في حياتهم.